

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ

عجز الشيطان عن الإغواء و النقصان تجاه أنبياء الرحمن

1. لقد اعترف الشيطان أنه لا يطيق إغواء المخلصين ثم أكدّه الله تعالى أيضاً قائلاً: «قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ * قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ» [1] و حيث إن الإغواء يعني الإضلال بصورة وسعة فبالتالي لا يخص المعاصي فحسب بل سيضلّهم عن الطريق القويم و الصراط المستقيم بتخليط الحق مع الباطل، و امتزاج الصحيح مع السقيم و إيقاعهم بالغفلة و السهو و النسيان و شتى العوامل الدينيّة أيضاً و ذلك نظراً لسعة تعبيره: «لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ وَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ» بينما العباد المخلصون - المعصومون - قد تنزهوا و اعتصموا من مطلق الإغواءات و التزيينات تماماً.

2. بل و ثمة آيات أخر قد دلّلت على عصمتهم الواسعة - و بلا تخصيص - فهي كالتالي:

«الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَ هُمْ مُهْتَدُونَ * وَ تِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَ هَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ، كُلًّا هَدَيْنَا وَ نُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ وَ أَيُّوبَ وَ يُوسُفَ وَ مُوسَى وَ هَارُونَ وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَ زَكَرِيَّا وَ يَحْيَى وَ عِيسَى وَ إِبْرَاهِيمَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَ إِسْمَاعِيلَ وَ الْيَسَعَ وَ يُونُسَ وَ لُوطًا وَ كَلَّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ * وَ مِنْ آبَائِهِمْ وَ ذُرِّيَّتِهِمْ وَ إِخْوَانِهِمْ وَ اجْتَبَيْنَاهُمْ وَ هَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ لَوْ أَشْرَكُوا لَحَبَطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحُكْمَ وَ النَّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِكَافِرِينَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ» [2] و قد تجلّى ظاهراً أن مقدمات الحكمة قد توفّرت في الفقرات التالية: «آمَنُوا وَ لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ» و «لَهُمُ الْأَمْنُ وَ هُمْ مُهْتَدُونَ» و «أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهْ» و «اجْتَبَيْنَاهُمْ وَ هَدَيْنَاهُمْ» فإنها آيات محكمات حتماً حيث إنه تعالى ضمن مقام تبيان التوسعة و تبيين الأمن المطلق لهم عن الخلل و الزلل و الخطأ و الخطأ حتى الدينيّة أيضاً، بحيث إنهم عليهم السلام يُعدّون آمنين «بالفعل» من الأخطاء و السهو و الغفلة و النسيان و... [3] لا شأنًا، فكافة هذه العناوين تُعدّ مطلقةً و فعالةً بالتأكيد، و لم نَعُثر على مخصّص لها إطلاقاً.

أجل إن عالم «العصمة» ذات رُتب و منازل فعصمة آل البيت الأربعة عشر قد تفوّقت على بقية المعصومين وفقاً لصراحة الروايات بهذا الشأن.

فبالنهاية:

· إن العناوين المطروحة لا تُلائم الاقتداء بمن يسهو أو يخطأ أو ينسى أو.... أبداً فإنها وسعة النطاق بحيث تحتوي العصمة في التبليغ و التبيين و العمل و التأسي و كافة الأمور الدينيّة أيضاً، لا عصمة لحيان دون حين إذ الأمور التكوينية و العقلية القطعية

تُعدّ سرمدية لا تخضع للتخصيص أبداً.

• فمشیاً مع ذلك، سنعيد المتشابهات إلى المحكمات - المذكورة في سورة الأنعام- و ذلك وفقاً لتوصية أهل البيت حين تفسير القرآن الكريم بحيث:

Ø سنفسّر «المسّ الشيطاني» للنبي بمطلق الشرّ و العامل الذي قد تسبّب الأمراض و البلاوي و المشاق لأيوب عليه السلام بحيث يصنع أحداثاً مشومة و يُجنّد جنوداً للإيذاء.

Ø و سنفسّر «نسيا حوتهما» لا بالمعنى المتوهم - نظراً للدليل العقلي- بل نسي الحوت يعني «مجرد عدم السؤال عن الشيء و مطالبته» فحيث لم يحرّ الحوت و لم يبحّثه فقد تسبّب نتاجه بنسيانه و تركه هناك، و إلا فإن الشيعة تعتقد بأن المعصوم لو شاء معرفة شيء لعلمه أو علم، و يبدو أنه عليه السلام لم ينو الالتفات إلى الحوت فلم يعلمه، إذ لم يستخدم علمه الدني آنذاك.[4]

Ø و سنفسّر «ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك»[5] بما يلائم المحكمات المذكورة - أي العصمة القطعية-[6] فبالتالي لا يحدث أي تضارب بين المتشابهات و بين المحكمات أبداً فإن وزانهما كوزان الحاكم مع المحكوم و الوارد مع المورد، و من المبرم أنّ الأوليين تتفوّقان على الثانيين فكذلك المحكم على المتشابه، فعلى هذا المنوال أيضاً سيفسّر معنى «و جاء ربك و الملك» حيث إنها متشابهة بتاً و لكن قد اتّضح المرام بأنّه تعالى عديم الجسم وفقاً للآية التالية: «ليس كمثله شيء» و «الله نور السماوات و الأرض» حيث تُعدّ محكمة فائقة و مفسّرة للمتشابه تماماً.

[1] سورة الحجر الآيات 39-43.

[2] سورة الانعام: 82-90.

[3] و ذلك وفقاً للقاعدة الشهيرة المسلمة بأنّ العناوين ظاهرة في الفعلية بحيث حينما يحكم تعالى بحدوث شيء و وقوعه فقد تجلّى و تفعلّ حالياً و فعلياً.

[4] بل ثمة نظرة عرفية إلى تعبير القرآن الكريم، فإن الآية قد تحدّثت بأسلوب شائع بين الناس كثيراً فإنّه لو تساير شخصان معاً ثمّ نسي أحدهما شيئاً يتعلّق بكليهما تماماً، لأطلقاً على أنفسهما بالنسيان فيقولان: قد نسينا الشيء الفلاني، بينما أحدهم فقط قد نسي ذاك الشيء، و لكن حيث قد ارتبط الشيء بكليهما معاً - كأكل الحوت- فقد نسباه بصيغة التثنية، فالآية تلائم النظرة العرفية في المحاورات تماماً فلم تنسب النسيان إلى شخص النبي بالضبط بل لارتباط الغذاء - الحوت- بهما معاً قد ثنى الفعل الماضي - نسيا- لا لتعلّق خلل النسيان بشخص النبي أساساً.

[5] سورة الفتح الآية 2.

[6] حيث قد ورد عن الإمام الرضا عليه السلام قائلاً: «فلما فتح الله تعالى على نبيه صلى الله عليه و آله و سلم مكة قال له: يا محمد إنّنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك و ما تأخّر عند مشركي أهل مكة بدعائك إلى توحيد الله فيما تقدم و ما تأخّر لأن مشركي مكة أسلم بعضهم و خرج بعضهم عن مكة و من بقي منهم لم يقدر على إنكار التوحيد عليه إذا دعا الناس إليه، فصار ذنبه عندهم في ذلك مغفورا بظهوره عليهم، فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن.» (مجلسي محمدباقر. مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول. Vol. 8. ص150)